ردُّ الحُجج

الباطلة والمضللة

رسالة في الرد على المدافعين عن عوالي الأسانيد القرآنية

في كتاب (الحجج الجياد)

الجزء الأول

في رد طريق علي الحدادي

تأليف

السيد بن أحمد بن عبد الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى طلاب القرآن الكريم..

اصرفوا جهودكم وأموالكم فيما هو مكفول الحفظ، موفور الأجر، ولا تصرفوها في هوس الإجازات، وعلو الإسناد؛ فإن ساحةَ الأسانيد مليئةٌ بالعجب العجاب. فمن الأسانيد ما هو متصل مع الاستقامة والصحة، ومنها ما هو متصل مع الاستقامة وعدم الصحة، ومنها ما هو متصل مع عدم الاستقامة وعدم الصحة، ومنها ما هو منقطع، ومنها ما هو مدلَّس.

فليس كل ما هو مُسَطَّر في الإجازات يُعبر عن واقع، لا من حيث صحة النقل، ولا من حيث صحة السند، فابتغوا بجهودكم وأموالكم، ما يبقى ذُخرًا لكم.

رِسَالَةٌ مِنَ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ الأَخْضَر

شيخ القراء بالمسجد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الفضيلة الأخ السيد بن أحمد بن عبدالرحيم.. وفقنا الله وإياه لكل خير.

سلام الله عليك ورحمته وبركاته.. وبعد: إنَّ التوفيق في خدمة القرآن الكريم وشؤونه لهو مما تَجْمُل به النواظر، وَتَسْعَدُ به الأسماع، وَتَهْنَأُ به القلوب، وإذا كانت قريش قد حاولت في بداية عهد نزول القرآن أن يعترضوا طريق الهدى البيِّن المستنير فما أفلحت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾، وإذا كان الاستعمار في المتأخرين أعاد الكَرَّةَ بطرقٍ ملتويةٍ فما أفلح قط.

فإنَّ هذه فتنةٌ أصابت الكسالى العاجزين، فلم يُنفقوا وقتًا في تعلُّم كتاب الله عز وجل، وطلب به بعضهم غير وجه الله؛ طلبوا به المزيَّة والتفاخر، وأصابهم ضرب من الحسد لمن يُقبلون ويتعلمون في صمت وهدوء، ووجدوا أن الطريق لا يوصلهم إلى علوِّ القراءة بحسن التلقي والصبر، فبحثوا عن علوِّ الأسانيد؛ ظنًّا منهم أنَّ الملائكة يوم الحشر لا تقول لقارئ القرآن: «اقرأْ وارتقِ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا»، وإنما هاجت في نفوسهم صفراوية الكذب والتدليس، وظنوا أن ملائكة الرحمن تقول لهم: «من كان إسنادُهُ عاليًا فهو الذي يصعد درجات جنة الخلد».

إنه لن ينقضي زمان حتى يتناسى الناس أنَّ هذه الفئة كانت تعيش على سطح هذه الأرض، ثم هي في الأرماس تُسْأل عمَّا فعلت، ﴿**وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ**﴾.

لا يصدّنّك أخي الكريم باطلهم، ولا ما زعموا وما اشتروا به أنفسهم. وما تقربوا به إلى الله.

إن من كذب على العباد حري أن يكذب ويدلس في القرآن الكريم.

ولقد جاء جماعة إلى شيخ ليسمعوا منه الحديث فرأوه خارجًا وقد أفلتت بغلته وهو يحاول إمساكها، وبيده مخلاة يريها إياها، فلاحظوا أن المخلاة فارغة، فرجعوا ولم يسمعوا منه، قالوا: هذا يكذب على البغلة فلا نأمن أن يكذب في الحديث!.

وقال شيخ الأزهر الشيخ الجليل محمد الخضر حسين فيما أخبرني به شيخي عنه، سمعه بأذنه ورآه بعينه: «يا بنيَّ إن طالب العلم لا ينبغي أن تلصق به شبهة».

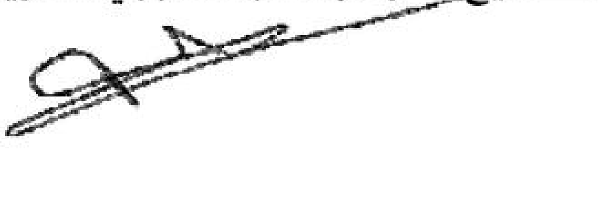
فضيلةَ الشيخ السيد عبدالرحيم: إن عملك هذا سيجعل الله لك به منقبة في السائرين، فتوكل على الله وكن مع الصادقين.

وسلام الله عليك ورحمته وبركاته..

وكتبه إليكم

أخوكم/إبراهيم الأخضر بن علي القيم

شيخ القراء بالمسجد النبوي الشريف



كَلِمَةُ بَرْنَامَجِ الإِقْرَاءِ

التابع للمركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالمدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد.

فلقد اختص الله تعالى أهلَ القرآن بحفظ كلامه من بين الخلائق، وشرَّفهم -جل شأنه- باتصال أسانيدهم إليه، وهذه الخصيصة شرف لا يُدانيه شرف، والإسناد -كما هو معلوم- من خصائص أمة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، لم تسبقها إليه أمة من الأمم، وتلك نعمةٌ كبرى، وآية عظمى، تستحق الحمد والشكر والثناء.

وحامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا أن يسهو مع من يسهو، ولا أن يلغو مع من يلغو؛ تعظيمًا لحق القرآن.

حامل القرآن في كل خصلة من خصال الخير لأهلها إمام، قد درجت النبوة بين كتفيه، غير أنه لَا يُوحَى إِليه، فطُوبى لمن يرعى أمانة القرآن بالبر والتَّقوى، ويحفظ حدَّها، ويأخذها بحقها ومستحقها.

وهل يريد أهل القرآن المخلصون من رحلتهم وإجازاتهم وتصنيفهم ومجالس إقرائهم إلا رضا الله تعالى، مع دعوة صالحة -من قلب مؤمن- تلقى ساعة إجابة فيسعدون بها في الدنيا والآخرة.

وسعيًا إلى العمل على تخريج أجيال راشدة، وإيجاد مرجعيات علمية معتبرة تنفع الأمة في علم القراءة والإقراء، وقيامًا بالواجب في منع ما انتشر من تجارة الإقراء والأسانيد، وما ترتب على ذلك من فتنة تحصيل الأسانيد القرآنية التي صرفت الناشئة عن المقصود الأسمى من حفظ القرآن ومُدارسته وتعلمه، فإن (برنامج الإقراء التابع للمركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالمدينة النبوية) يُقدم هذا الجهد العلميّ الرائد الذي هو في الحقيقة تدريب عمليٌّ لحامل القرآن على كيفية دراسة الأسانيد القرآنية، وكيفية التعامل معها، مع ما حواه من نقولات هامة، وتأصيل علمي محكم مع التحقيق والتدقيق.

يُسعدنا أن نقدم هذا الكتاب للمؤسسات القرآنية المعنية، وللمشتغلين بشؤون الإقراء، كما نقدمه لحامل القرآن قارئًا ومقرئًا، وحامل القرآن مستحق لكل خير وكل جهد رشيد.

سائلين الله تعالى أن ينال هذا الكتاب من الله تعالى الرضا والقبول، وأن يقع هذا التأليف -في قلوب أهل القرآن- موقع البشر والسرور، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه.

د. عبدالله بن محمد الجارالله

رئيس الهيئة الإشرافية

للمركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالمدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فمن المعلوم والمشهور عند العلماء سلفًا وخلفًا أن الإسنادَ نعمةٌ كبرى، وهذه النعمة من خصائص أمة النبي محمد ﷺ. ومن أهم فوائدها ربط المتأخر بالمتقدم، واتصالهما. وقد حرص المتقدمون على الحفاظ على هذه الخصيصة؛ ولكن بصدق وموضوعية فيما يُسند إليهم، وما يُحمل عنهم.

وكان من العلماء المحققين من يتتبع هذه الأسانيد، ويكشف ما يقع فيها من خلط، وانقطاع، وكذب، وتدليس.

ثم فترت الهمم، وقل الإقبال على الأسانيد والإجازات عند المتأخرين، خصوصًا مع وجود المعاهد والجامعات التي تقوم بهذا الغرض في الأقطار الإسلامية. وقد كان يُكتب في بعض الشهادات التي تمنحها هذه الجهات (...بعد أن تلقى عن شيوخه بأسانيدهم)، كما هو ثابت في شهادات معاهد القراءات بمصر.

ثم عاد الإقبال على الإجازات والأسانيد، ولكن بنهم وشره وبصورة غير

مسبوقة، مما كان سببًا في فتح الباب على مصراعيه أمام التدليس والخلط والتلفيق، لا سيما مع خلو الساحة من المحققين، وأيضًا عدم الغربلة والتمحيص لهذه الأسانيد.

وحرصًا مني على المحافظة على أسانيد كتاب الله تعالى، واتباعًا لمنهج المتقدمين في هذا الصدد؛ أخرجت كتابي (فتنة الأسانيد والإجازات القرآنية.. في الرد على واحد ممن دلس فيهما من المعاصرين)، أسأل الله تعالى أن يغفر لي وله، وأن يختم لنا بخير. وما هي إلا خطوة لتربية أنفسنا على منهج من تقدمنا من أسلافنا.

ثم أخرجت كتاب (آفة علو الأسانيد.. دراسة موثقة في كشف حقيقة العلو المنتشر بين القراء والمقرئين في أسانيد المصريين والشاميين)، فقامت الدنيا ولم تقعد من جهة من يحملون هذه الأسانيد، ويتداولونها، وما أكثرهم. فانهالت عليَّ المكالمات والرسائل طعنًا في هذا العمل، إلى درجة أنهم تعاونوا وتعاضدوا في إخراج مؤَلَّفٍ في هذا الصدد.

فتصبرت حتى يخرج هذا المؤَلَّف إلى النور، وأرى نتيجة هذا التعاون والتعاضد؛وبعد أن خرج هذا الكتاب واطلعت على ما فيه، ورأيت أنه قائم على شبهٍ مضللة، وحجج عقيمة الدليل والبينة؛ كان من الضروري الرد عليها لما اشتملت عليه من تدليس حاصل في أسانيد كتاب الله تعالى.

وها أنا ذا أُخرج هذه الرسالة في الرد على ما جاء في كتاب (الحجج الجياد

في الذب عن عوالي الإسناد) وغيره من الدفاع عن طريق الحدادي والمرزوقي.

وكنت عزمت على أن أُخرج ردي على المسألتين معًا (الحدادي والمـرزوقي) في كتاب واحد، ولكنني لما رأيت ما حصل من اسـتخفاف وتـضليل في تنـاول القضايا المهمة جدًّا والتي تتعلق بكتـاب الله تعـالى، ولمـا لهـا مـن تـأثير على الأجيال الموجودة والآتيـة؛ آثـرت أن أفـصل بـين المـسألتين، وأن أجعلهمـا في جزأين.

وهذا هو الجزء الأول منهما يدور حول مسألة الحدادي، رأيت تقديمه على المرزوقي لشدة خطورته، وسيليه الجزء الثاني في مسألة المرزوقي مع أمور أخـرى متعلقة بالمسألتين، وهذا قريب جدًّا بإذن الله. فلم تبقَ إلا المراجعات النهائيـة في ذلك.

وقد اشتمل هذا الجزء من هذه الرسالة على الآتي:

المقدمة: وتضمنت الآتي:

أ- التقديم.

ب- مدخل.

ج- وقفة مع تجارة الإجازات والأسانيد بين المعاصرين.

موضوع الدراسة في مسألة الحدادي، وتضمن الآتي:

أ- التمهيد.

ب- (الحجج الجياد) تكشف بنفسها عن مقصدها.

ج- (الحجج الجياد) تطعن في السجلات الرسمية.

د- (الحجج الجياد) تناقض نفسها في قبول النتائج.

هـ- (الحجج الجياد) تحرف وتزيف وتضلل القارئ.

و- (الحجج الجياد) تفضح نفسها بمستنداتها.

ز- (الحجج الجياد) تكشف بمستنداتها عن مُدَلِّسٍ معاصر.

ح- (الحجج الجياد) تتجاهل التدليس والمدلسين.

ط- (الحجج الجياد) تنفي علاقة عبدالله عبدالعظيم بالضريح الدسوقي.

ي- (الحجج الجياد) تُساوي بين علو الكندي وعلو عبدالله عبدالعظيم.

ك- (الحجج الجياد) تُحمِّل الحدادي تحريرات العبيدي، وتقدمه على سلمونة.

ل- (الحجج الجياد) تضع الحدادي فوق العبيدي ترجمة.

م- (الحجج الجياد) تُؤصِّل باطلا لمجاهيل الأسانيد.

ن- (الحجج الجياد) ترد ما يستر عبدالله عبدالعظيم.

س- نهاية الكلام وفصل المقال في الحدادي.

الخاتمة وتضمنت الآتي:

أ- وقفة شديدة الأهمية.

ب- الخلاصة وأهم النتائج.

ج- استغاثة.

مَدْخَلُ

سابقة لم تسبق في تاريخ الإسلام، أن يرجع علو الأسانيد القرآنية في جميع أنحاء الدنيا في هذا العصر إلى شخصٍ مجهولٍ لا وجود له، فانتبهوا يا أولي الأبصار إلى مثل هذه الأخطار.

إن بلاء التدليس بلاء عضال ابتليت به الأسانيد على مختلف العصور، إذ لا يخلو عصر من وقوع البعض في هذا الداء، وغالب من وقع في هذا البلاء كانوا أساتذة أعلامًا، وكان الدافعُ إلى ذلك شهوةَ علو السند، وقد أشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله: «وأكثر مقصود المتأخرين في التدليس طلب العلو، أو إيهام كثرة الشيوخ»، فإذا كان هذا حال المتأخرين بالنسبة لابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢هـ، فكيف يكون حالنا وحال المتأخرين بالنسبة لنا مع هذا المرض؟، لا سيما مع خلو الساحة من تحقيق الأسانيد، كما كان الحال بين المتقدمين، حتى أصبحت ساحة الإسناد كلأً مباحًا لكل راتع.

ومن طرق علو الأسانيد المتداولة على غير استقامة؛ طريق (علي الحدادي)، وقد أدت هذه الشخصية إلى علوٍّ غير مسبوق على مختلف العصور من جهة طرق الأداء، فقد ارتفع عبدالله عبدالعظيم -التلميذ الوحيد لهذه الشخصية- عن أقرانه أربع درجات أو خمس، وهذا لم يتحقق لمقرئ فيما سبق، ولا حتى لأعجوبة التاريخ أبي اليُمن الكِندي، الذي قال الذهبي فيه: «وقرأ القرآن تلقينًا على أبي محمد سبط الخياط، وله نحو من سبع سنين، وهذا

نادر. وأندر منه أنه قرأ بالروايات العشر وهو ابن عشر حجج، وما علمت هـذا وقع لأحد أصلا. وأعجب من ذلك أنه عُمِّرَ الدهـر الطويـل، وانفـرد في الدنيـا بعلو الإسناد في القراءات، وعاش بعدما قرأها بعدة كتب ثلاثًا وثمـانين سـنة، وهذا لا نظير له في تاريخ الإسلام».

فهذا العلو الذي انفرد به الكندي في الدنيا ولا نظير له في تـاريخ الإسـلام كان بين درجتين أو ثلاث زيادة عن أقرانه.

لذا كان من الضروري البحث عن (الحدادي) الذي جاء بهـذا العلـو الذي لم يسبق على مدار التاريخ في أسانيد القرآن.

وقـد كان الحـدادي أحـد اثنـين أخـذا مـن عمـري سـنوات في البحـث والتحقيق بسبب هذا العلو الذي جاء من جهتهما، ثـم أخرجـت نتيجـة هـذا البحث في كتابي (آفة علو الأسانيد) الذي اشتمل على بـابين، الأول منهمـا كان في أمر الحدادي، والثاني كان في أمر المرزوقي.

وقد كانت النتيجة في أمر (الحدادي) أن لا وجود له، مع تميزه بما يؤدي إلى شهرته وظهوره، وهو تفرده بعلو السند، وأيضًا علو منزلته وقدره وأزهريتـه على حد وصف تلميذه الوحيد له.ومع هذا فقد اجتمع في الحدادي عشر علـل مـن علـل العـدم، وهي: لا وجـود له في الـسجلات الرسـمية للوفيـات، ولا وجـود لأعقـابٍ له مـيلادًا أو وفـاةً، ولا وجـود لإخـوةٍ له، ولا وجـود له في سـجلات المستخدمين، ولا وجود لترجمةٍ له مستقلة، ولا وجود له في ترجمة غيره، ولا أثـر

له في التآليف، ولا وجود لإجازة صدرت عنه، ولم يرد ذكره في جميع إجازات قراء مصر إلا فيما صدر عن تلميذه عبدالله عبدالعظيم، ولم يظهر له تلميذ واحد سوى عبدالله عبدالعظيم.

وقد اعتمدتُ في تحقيقي لهذه العلل على الجهات الرسمية بمصر، مثل: دار المحفوظات العمومية، ومصلحة الأحوال المدنية، ودور الكتب.

ثم خرج كتاب (الحجج الجياد في الذب عن عوالي الإسناد)، ليدافع عما وصل إليهم من علوٍّ عن طريق الحدادي والمرزوقي معًا.ومن العنوان ظننت أنه دفاع قائم على ثوابت علمية، ومنهاج قويم، فلما قرأته رأيت أنه دفاع أجوف، قائم على الافتراضات النظرية، والاستدلالات الجدلية، فاقد للوقائع الحقيقية والأدلة المادية، دَافِعُهُ المصلحة والمنافع الشخصية. إذ لم يأتِ صاحب الحجج بردٍّ علمي على علة واحدة من علل العدم العشر التي توفرت في الحدادي، ولم يكن رده على جميع ذلك إلا بالاعتماد على السفسطة الفكرية، والمراء العقلي، ومن ذلك قوله: «لعله كذا»، و«ربما كذا»، و«أنه لم ينفرد بكذا»، و«أنه لا يلزم كذا»، و«أن البحث قد يُخرج كذا»، و«أن هذا حال كثير من كذا»، و«أن شركاءه كثير في كذا».

فلم يستند في رده على دليلٍ ماديٍّ في نفي علةٍ واحدةٍ من تلك العلل العشر، بأن يقول مثلا: هذا هو الحدادي وقفنا عليه، أو هذا ابن أو ابنة للحدادي، أو هذه إجازة أو مؤلف وجدناه للحدادي. أو غير ذلك.

ولو أن صاحب الحجج توصل إلى دليل مادي على نفي علة واحدة من تلك العلل نفيًا حقيقيًّا لانتفى بها الباقي، وانتهى الأمر.

ولما لم يجد إلى ذلك سبيلا، أخذ في البلبلة والتشتيت لصرف الأذهان والأبصار عن أصل المسألة وموضع النزاع، فسلك مسلك المراء والسفسطة والتخبيط والتشكيك والادعاءات الباطلة، حتى وصل به الأمر إلى أن وضع أصولا لمجاهيل الأسانيد من بُنَيَّاتِ أفكاره ليسوِّغ بها طريق الحدادي في الأسانيد، ثم تجرأ بعد ذلك على نسبة هذه الأصول إلى الأئمة المتقدمين من المحدثين والمقرئين. ولم يكتفِ بهذا، بل ادعى أن ابن الجزري قد عمل بهذه الأصول في (نشره)، وما كان ذلك إلا للدفاع عن العلو الذي جاء من طريق الحدادي.

وعلى هذا فقد حظي الحدادي بما لم يحظَ به مجهول من مجاهيل الأسانيد على مدار التاريخ من البحث والتحقيق والتنقيب، وذلك بأن خرجت فيه دراسة مستقلة تستند إلى أدلة علمية ومادية أثبتت عدم وجوده وهي (آفة علو الأسانيد)، ودراسة أخرى خرجت لتدافع عنه فلم تأتِ بدليلٍ علميٍّ ماديٍّ واحدٍ يُثبت وجوده عنوانها (الحجج الجياد).

وقد كان من الضروري الرد هنا على تلك الدعاوى الباطلة والشبه المضللة الواردة في (الحجج الجياد)، فيما يخص الحدادي، حفاظًا على أسانيد كتاب الله تعالى من عبث التدليس، وحرصًا على طلبة القرآن من التضليل والتزييف.

والله من وراء القصد، والهادي إلى سواء السبيل.

وَقْفَةٌ مَعَ تِجَارَةِ الإِجَازَاتِ وَالأَسَانِيدِ بَيْنَ الْمُعَاصِرِينَ

إن حملة القرآن الكريم هم أهل الله، وصفوة عباده، وهذه نعمة عظمى أنعم الله بها عليهم من بين الخلائق، لذا لم يألُ الشيطان جهدًا في سبيل إفساد هذه النعمة. ولما لم يجد له مدخلا عليهم من جهة النص المقدس -لحفظه من قبل الله تعالى- دخل عليهم من مداخل أخرى، ومن هذه المداخل:

ساحة الإجازات والأسانيد عاليها ونازلها؛ حيث أصبحت الإجازة عند طلبة القرآن من أهم المهمات، وأسمى المطالب، لا سيما الإجازة عالية السند، فاتجهت أنظارهم إلى من يحملون هذه الإجازات أيًّا كان مستواهم العلمي، وانصرفت أنظارهم عمن لا إجازة لديه، حتى وإن كان من جهابذة هذا العلم، وأصبح طلب الحصول على الإجازة فوق كل اعتبار، حتى تحول إلى نهم وشره.

وكان هذا الأمرُ سببًا في أن دخل هذه الساحةَ الكذبُ والتدليسُ قديمًا وحديثًا. غير أنه في القديم كان يُكشف أمر المدلسين والمتلاعبين بالأسانيد أولا بأول من خلال المحققين المتخصصين في هذا المجال، وكان من أواخرهم الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، رحمة الله عليه.

ومنذ ذلك الحين إلى وقتنا هذا وهذه الساحة تكاد تخلو من تحقيق طرق الأسانيد، وأحوال رجالها، للأسباب التي سبق ذكرها في المقدمة، فنشأ عن هذا وجود بعض الطرق التي يعتورها القصور والخلل، وانتهت إلى بعض الشيوخ والمعاصرين.

ونظرًا لما في هذه الطرق من علوٍّ في أسانيدها غير موجود على وجه الأرض؛ فقد تدفق على أصحابها طلابُ القرآن يركضون من أنحاء الدنيا، دون أدنى تفكيرٍ في صحة هذه الأسانيد، وسلامة سلسلتها. وهذا الإقبال الشديد على شيوخ هذه الأسانيد كان سببًا في أن حَوَّلَ بعضَهم إلى تجارٍ يُتاجرون بإجازاتهم، ويمنحونها لمن يستطيع أن يدفع أكثر، أيًّا كان تحصيله.

فالبائع هو المقرئ، والمشتري هو الطالب، والسلعة هي الإجازة ذات السند المتوهم علوه، والثمن يُحَدَّدُ حسب جنسية الطالب، فصاحب كذا بكذا، وصاحب كذا بكذا، وإلى هذا الحال صار شأن بعض صفوة الخلق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وبهذا تحولت ساحة القرآن الكريم -عند بعضهم- إلى ميدان للتجارة والاتجار بين من أعمتهم شهوة المال والشهرة.

ولا أكون حانثًا إن أقسمت أن أكثر من يهرولون وراء أصحاب الأسانيد العالية لا يبتغون من وراء هذا علمًا ولا معرفة، فهم أدرى الناس بأحوال أنفسهم وأحوال من يذهبون إليهم من حيث العلم والمعرفة.

وواقع الحال عند كثير من هذه الفئة هو أن يقرأ الطالب (نظرًا) من المصحف، ولا بأس بأن يهذّه هَذًّا. وقد يكتفي الشيخ من الطالب بقراءة بعض القرآن، لأن وراءه جموعًا غفيرةً تنتظر أدوارها في الحصول على الإجازة.

وهذا بلا شك يُسعد بعض الطلاب سعادة شديدة؛ إذ لا هَمَّ لهم سوى الحصول على هذا المستند بأي صورة، وعلى أية حال. وبهذا تنتهي الصفقة بين

البائع والمشتري، ويعود المشتري متفاخرًا بين أقرانه بهذه الإجازة وما فيها من علو، مُوهِمًا نفسه أنه بهذا قد تساوى مع من مضى من كبار الأماجد الذين سارت إليهم ركبان الحذاق من أنحاء الدنيا للازدياد في تحصيل العلم والمعرفة.

ويا ليتهم بذلوا هذا المال وهذا الجهد في الترحال، وفي طلب هذا العلم طلبًا صحيحًا، بدل بذله من أجل (وثيقة) ليست بذات قيمة كبيرة بين الحذاق من أهل هذا الفن.

ولكثرة مريدي الإجازات أصبح (الهاتف) من وسائل التلقي، والمهم في هذا كله الحصول على المال لدى المقرئ، والحصول على الإجازة لدى القارئ. وقد بلغ سعر الإجازة لأصحاب العملة المصرية خمسين ألف جنيهٍ عند بعض الشيوخ الذين يحملون الأسانيد المتوهم علوها، وكان هذا منذ أكثر من عامين، ولا شفاعة ولا وساطة عند بعضهم.

فقد أخبرني الشيخ السعيد محمد غراب (حفيد الشيخ الفاضلي)، أنه توسط لأحد طلابه في المعهد الديني بدسوق عند أحد الشيوخ الذين قرؤوا على جده في أن يعطي هذا الطالب إجازة في رواية حفص. وإكرامًا للشيخ الفاضلي لم يطلب هذا الشيخ من هذا التلميذ إلا أربعة آلاف فقط في هذه الإجازة.

وهناك روايات كثيرة في هذا الصدد تشمئز النفس من ذكرها، وإلى هذا الحال وصلت ساحةُ الإجازات القرآنية بين طلابها ومانحيها.

وقد ذكرت في كتاب «آفة علو الأسانيد» أمثلة للمتقدمين من طلبة

القرآن في تورعهم وانصرافهم عن الذين يتاجرون بالإجازات والقرآن، أما الآن فلا ورع مع شهوة الإجازات.

وقد وصل الأمر إلى أكبر من هذا عند بعض طلاب الإجازات، فمنهم من لم يكتفِ بحصوله على إجازةٍ من الشيخ، بل أخذ إجازة الشيخ نفسها. وقد حدث هذا مع الشيخ مصباح[1] في مدينة دسوق التابعة لمحافظة كفر الشيخ، حيث جاءه طالب علم سعودي، فأجازه الشيخ مصباح، ثم استأذن الشيخ في أن يأخذ صورة من إجازاته من الفاضلي، فسمح له الشيخ، فأخذ هذا الطالبُ الأصلَ وترك له صورةً رديئةً هي التي يُجيز عليها الشيخ مصباح الآن. وقد استحى الشيخ مصباح من أن يُطالبه بها لأن ذلك الطالب كان سببًا في أن يسر للشيخ الحج هو وزوجته.

وأكثر من هذا شناعةً أن ذهب هذا الشخص مع الشيخ مصباح لمقابلة الشيخ السعيد محمد غراب (حفيد الشيخ الفاضلي لابنته)، واستأذن الشيخَ السعيد في أخذ صورة من الإجازات الموجودة في مكتبة الشيخ الفاضلي، فسمح له، فأخذ الأصولَ وترك له في مظروفٍ الصورَ على أنها أصول[2].

بل إن بعضهم كان يشتري الإجازات من بعض الشيوخ. وإلى هذا الحد

(١) من تلاميذ الشيخ الفاضلي، ومن المشهورين بالإقراء في دسوق حاليًّا.

(٢) وهذا ما حكاه لي شخصيًّا الشيخ مصباح، وهو مسجل عندي بالصوت والصورة. كما ذكره لي الشيخ السعيد حفيد الشيخ الفاضلي.

وصل شره الإجازات عند طلابها، وكأنها (تُحَفٌ) و(مقتنيات) تُضاف إلى مقتنياتهم التي يجمعونها للزينة والتفاخر.

ويا ليتهم سعوا في تحقيق ما جمعوه من الإجازات حتى لا يُوصَمُوا عند الأجيال القادمة (بالتدليس أو الغش العلمي).

فقد كان المتقدمون لا يتوانون في غربلة وتمحيص ما بين أيديهم من الأسانيد والإجازات، والكشف عن مجاهيلها ومدلسيها وكذابيها.

ومما يغيب عن الكثيرين أن جميع الإجازات المتداولة والمحفوظة لدى الأفراد وفي الجهات الرسمية، لا قيمة لها إلا بعد تحقيقها، والتأكد من سلامة محتواها، والله المستعان.

*　　*　　*

مَوْضُوعُ الدِّرَاسَةِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَدَّادِيِّ

التمهيد:

سبقت الإشارة إلى أن صدور كتاب «آفة علو الأسانيد» كان بمثابة فاجعة لجميع من ترجع أسانيدهم إلى الإجازات المصرية والشامية ذات الأسانيد المتوهم علوها. ولذا تسابق الكثيرون إلى الرد على هذا الكلام الذي ينال من مرجعيتهم الإسنادية، لا سيما أنها مصدر شهرة وانتفاع لدى كثير منهم.

وقد خرجت بعض الردود الانفرادية هنا وهناك، ثم تَنَادَى مجموعةٌ منهم وتعاضدوا في سبيل إخراج البحث الموسوم بـ(الحجج الجياد في الذب عن عوالي الإسناد). والقائم على هذا البحث هو الشيخ علي سعد الغامدي، متعاونًا فيه مع المجموعة التي ذَكَرَهَا في مقدمة كتابه.

ولأهمية هذا الأمر وخطورته بالنسبة لهم، خرج بحثهم هذا في أقل من شهر فقط بعد خروج كتاب «آفة علو الأسانيد»، ورفعوه على أحد مواقع الإنترنت، وروجوا له، فوصل إلى الناس الردُّ قبل أن يصلهم المردود عليه!.

وهذا إنجازٌ غير مسبوق، ولا نظير له، وتتجلى منه فائدة عظمى وهي: إظهار الفارق بين همة الشباب، وهمة من هو في العقد السابع من عمره.

فما توصل إليه صاحب العقد السابع في ما يقرب من ست سنوات بذلها في دراسة متأنية ممحِّصة؛ توصل الشباب إلى نسفه وبطلانه بعد تحقيقه وتحريره وتدقيقه في أقل من شهر. لذا سارع بعض من يهمهم هذا الأمر

ويمسهم إلى الثناء على هذا الجهد العظيم الذي انتصر لمصدري النفع والشهرة.

ومن العجيب والمخزي في آنٍ واحد، أن يخرج أحد أعضاء هذا الفريق ويقول بأحد مواقعهم على الإنترنت: «حقيقة وجدته من أرقى الردود العلمية المنطقية المدعمة بالأدلة الواضحة التي لا يستطيع إنكارها إلا المعاند».

ومفاد هذا أنه لا قدرة لأحد ولا استطاعة على أن يرد شيئًا من بحثهم على الإطلاق، ولا أن يتجرأ على هذا إلا شخص واحد، عرّفه بالألف واللام (المعاند). وعليه فوجب على كل من يقرأ بحثهم التسليم بجميع ما جاء فيه، ومنْ يخرجْ عن هذا يَكُنْ هو المعاند. فيا لها من مصادرة فكرية!. وسيأتي في هذا فصل المقال، كما قال الإمام الشاطبي: «وعند صليل الزيف يصدق الابتلا».

وقبل الدخول في ما جاء في ذلك الكتاب؛ أُعيد وأذكر بأن موضوع كتابي يدور حول شخصين، هما: (الحدادي) و(المرزوقي)، فهما صلب الموضوع، ومحل النزاع. وسيكون التركيز هنا على الحدادي حتى لا تتشعب المسائل، وتتشتت الأفكار عند من يريد التوصل إلى الفصل في هذه المسألة.

وبما أن الشيخ (علي الغامدي) هو المتصدر لهذه المسألة نيابةً عن فريق عمله فسيكون ردي عليه هو شخصيًّا، ولربما أشمل معه فريقه إذا استلزم الأمر.

فأقول مستعينًا بالله تعالى:

استهل الشيخُ (عليٌّ) بحثه بأسلوب مهذب، أسأل الله تعالى أن يكافئه على قدر إخلاصه فيه، ولكنه قد تجاوز في مواضع كثيرة.

ثم قدم بعدة أمور من أهمها:

قوله: «ومما بعثني على العجلة في الرد على الشيخ أني علمت أن الناس لن يسكتوا عن كتابه، بل بعضهم صرح لي بأنه سيرد عليه، فعجلت إلى ردي هذا، مخافة أن يتصدى للرد على الشيخ من لا ينصفه في البحث، أو من لا يعرف قدره وسابقته»(١).

وأقول: فيا ليته ترك هذا المستوى من الرد إلى غيره!.

أما عن أنهم لن يسكتوا، فلن يسكتوا. فعلى قدر ما يرجع إلى هذين الطريقين من أعداد، يكون الدفاع، ويكون أيضًا تطاول المنتفعين.

ومن الأمور التي قدم بها:

قوله: «لن أتعرض للفروع التي أرى أن الشيخ لم يصب فيها، أو لم يتمكن من استيفاء فوائدها، وسأجعل الرد في الجملة على أصول الكتاب»(٢).

وأقول: هذه العبارة إلى جانب ما تحمله من التعالي والغرور، فإنها عارية عن الصحة وعن الواقع تمامًا، فما فوق ثلثي كلامه كان في الفروع.

فاستعجاله وشغفه الشديد بأن يكون المتصدر بهذا الرد؛ جعله لا يقرأ الكتاب جيدًا بحيث يدري أصوله من فروعه، لذا كان غالب كلامه في فرعيات الكتاب، وسيأتي بيان هذا بعد قليل عند الرد على تحقيقاته.

---

(١) الحجج الجياد: ١٣.

(٢) الحجج الجياد: ١٤.